

الحرية ! الحرية !

للاستاذ محمود محمد شاكر

—•••••

أصبحت الجامعة العربية حديث العرب والمسلمين في مشارق أرض ومنازلها ، قد ناطقوا بها كل آلامهم في بلوغ غاياتهم إدراك ما تتمناه قلوبهم وضمايرهم ، وحسب الجامعة أن تكون لـ أربعمئة مليون عربي ومسلم في دنيا كلها عذراً لنا بيننا وائل . ولكن لا حسب ، فليس من الحق أن نترك الجامعة سير وحدها في الطريق دون أن ترتفع أصوات طلاب الحق بدعها وتسددها وتشير عليها بالرأى بعد الرأى ، فإن رجال جامعة رجال من أنفسنا ، قد رضيت العرب أن تمهد إليهم بقيادة نه الشعوب المطالبة بالتحرد من قيود الاستعمار التي ضربت يداً ونحن في غفلة عن الدنيا العنارية التي أرسلت علينا وحوشها تم في حنا ، وتستأثر بخير بلادنا ، وتنال منا نيلاً شديداً .

نفسها هذا التعبير ، وأن تكشف عن روحها هذا الكشف ؛ طلب مني في ابتهاج وضراعة أن أجيب عما ترسل إلى من مائل ، فأوجهها إلى ما تقرأ ، وأحاسبها على ما تكتب ، وأناقشها أفكر ، وأملأ يومها الفارغ الطويل بتحرير الكتب إلى ، نتظار الأجوبة مني ؛ وذلك فيما تزعم جزء من رسالة الأديب .ى اسطفاه الله ليجمّل بفته قبح الحياة ، ويخفف بدمه شقاء اس .

إن الرد على ما يأتيك من الرسائل واجب ، وهو بالطبع على مائل السيدات أوجب ؛ ولكن هناك — ولا أكذبك — فماً أقوى من الواجب ، هو تلك اللذة الطبيعية التي يجدها جل في الحديث إلى المرأة أو عن المرأة . لذلك لم أكذ أقضى أجة النفس من جمال تلك الرسالة ، بلجالة الفكر في الأسلوب ، إطالة النظر إلى الخط ، حتى كتبت الجواب عنها إلى الفتاة سلوب أب يحاول أن يكون لابنته كما تريد ، ويجتهد في أن تح أمامها باب الأمل من جديد .

محمد عبد الحليم

للمة بيا

وقد آن أوان تغيير ما كان وما سار عليه العمل في السنوات الماضية . فالجامعة ترى كما يرى كل عربي ومسلم منذ وضعت الحرب المالية الماضية أوزارها ، أن أوربة الجامعة التي لا تشبع ، قد خرجت من تحت أنقاض الحرب الدمرة وهي أشد ضراوة ووحشية مما كانت قبل الحرب وفي زمان الحرب . وأنها تريد أن تلهم كل شيء فتشيع ونجوع نحن ، وتميت ونحن نحن ، وتستغرق في الترف وناعم العيش وإن أغرقتنا نحن في الضنك وبؤس الحياة . فهذه روسيا تريد أن توغل حيث أطاقت وحيث تيسر لها أن تتوغل . وهذه بريطانيا الكاهنة المتينة العاتية تريد أن تتلو زمام كهايتها على شعوبنا لتثميننا مرة أخرى على الخسف الذي غمنا عليها أجيالاً طويلاً . ثم هذه ثلاثة أمم أمريكا التي لا ينطق أوار ظمئها إلى البترول ، تريد أن تستنفد كل شيء ما استطاعت ، لتتم هي به وبكل ما يطبق العلم أن يجدنه من ترف أو قوة ، فتدخل مع بريطانيا في الحلف الاستعماري ، لا تبالي أن تنافس تاريخ الأحرار القدماء من رجالها وبناء مجدها .

وترى الجامعة كما يرى كل عربي ومسلم ، أن الشرق العربي والشرق الإسلامي لم يقر له قرار منذ سكنت نار الحرب ، فقد انبثت أندونيسيا تريد الحرية فلم يبال بها أحد ، وانبعثت الهند تريد الحرية فأناموها بأن أدخلوها في نظام الدومينيون ، وهبت مصر والسودان تجادل عن حقها في مجلس الأمن ناصمت الأمم الداعية إلى الحرية أذاتها ، وعلقوا القضية في هيكل الوثنية الحديثة التي تعبد إله الشهوات ، ونار العراق يريد أن يحطم قيود الذل فأرادت بريطانيا أن تختدعه عن نفسه فأبى إياه الأحرار ، وماج المغرب العربي في تونس والجزائر ومراكش ، فضربت عليه فرنسا حكم الجيروت وألقت بينه وبين العالم أسداً من فولاذ الظلم والطغيان ، وسكت العالم الجديد عن هذا البغي اللئيم الذي ليس له رادع من نفسه ولا من الناس . وفارت مدغشقر فاطفاً المستعمرون تلك الأرواح المستمرة بأسنة الحراب . وأخيراً كشفت روسيا وبريطانيا وأمريكا وسائر الدول الصليبية قناع النفاق والرياء ، فقضت أن تطلق على فلسطين أنذار البشرية من يهود ، ليطردوا العرب من أرض آبائهم وأجدادهم منذ كان للعرب على هذه الأرض تاريخ ، فاجتت الأمم الإسلامية على أن ترد هذا المدوان وإن اجتمعت الدنيا كلها على تحقيقه ومناصرته .

يموق المطالبين بالحرية والناشدين لها من اجتماع الكلمة على هذا الحق الذي لا يملك أحد أن يمنعه أحداً ، لأنه عطية الله ونمته ، ليس لأحد أن يسلبه ؟ وكيف يسلبه وهو قوام هذا البيان الإلهي ؟ فإذا خلا هذا البيان من الحرية ، فقد خلا من الحياة وأنهم ، وكان أنقاصاً تسمى على أرض تلفظها ، ونستظل بساء تلعبها . إن جامعة الدول العربية ، إنما تتكلم اليوم باسم الشعوب العربية لا باسم الحكومات وحدها . فقلتم الجامعة أن الشعوب قد سئمت هذه السياسة المتعقبة البالية ، سياسة الدائرة والمحاورة ، سياسة الظنون الخداعة ، سياسة المفردين الذين يحسبون أن سينالون حقوقهم بالماوضات والمعادنات والمخاربات والمخادعات . فلتحذر إذن أن تقف دون الغاية التي تسمى إليها شعوبها ، ولتخط الخطوة الواسعة التي خطتها الشعوب في سبيل درك الحرية وانتراعها من يد الجباية الظالمين . إنها اليوم أعظم قوة في هذا الشرق العربي والإسلامي ، فلزام عليها أن تنطق بإرادة هذه الشعوب مجتمعة ، لا بإرادة حكومات تفرزها السياسة ، ولا بإرادة أفراد مهما بلغ سلطانهم فهو دون سلطان الشعوب التي يمثلونها ، بل ينبغي أن تكون الجامعة هي الرقيب الذي لا ينأى عن إرادة هذه الحكومات وعلى إرادة هؤلاء الأفراد ، طبقاً لإرادة الشعوب وحدها .

إني لا أزال أذكر الناس أننا نميش اليوم في زمن غير الزمن الذي ألفوه منذ خمس سنوات وحسب ، فاليقظة التي تدب اليوم في كيان الشعوب العربية والإسلامية أضخم وأعظم وأقوى مما يخطر ببال أحد ، إنها القوة التي لا يقف دونها سلطان ولا طغيان ولا بأس . نعم ، إن النظر السابر الخاطف لا يكاد يدل على هذه الحقيقة ، ولكن النظرة المتأنية التعمقة تستطيع أن تحس بهذه الحركة الجياشة التي فارقارها تحت هذا الظاهر الساكن الطمئن . وإنما يغفل من يغفل عن إدراك هذه القوة ، لأنه ألف شيئاً مضى ، ففاس عليه شيئاً جديداً يراه وهو متأثر بهننا الماضي ، ولأنه مسروق في عنان هذه السرعة الخاطفة التي يجرى بها عالنا الحاضر إلى الغايات التي لا يعلم غيبتها إلا عالم غيب السموات والأرض . ولكن الجامعة العربية قد فرض عليها أن تنظر النارة الثابتة العميقة لتدرك هذه الحقيقة التي لا تخفى ، ثم تقيم سياستها على هذا الأصل وحده دون الأصول الأخرى التي ورثتها

تري الجامعة العربية كل هذا كما يراه كل مسلم وعربي ، ولكنها لا تزال تسير في أمر هذه الثورة الجامعة - التي يريد بها العرب والمسلمون أن يطهروا أنفسهم من الاستعباد ، وأن يطهروا أرض الله من البنى والمدوان - سيرة لم يسرها قبل مطالب بحق يعلم أنه حق لا نزاع فيه . فهي تشغل نفسها مثلاً بغضية فلسطين وحدها - على خطر شأنها - وتندى ما يجري في مراكش وتونس والجزائر ، وما يحدث في العراق ، وما هو كائن في مصر والسودان ، وما لا يزال يحدث في أندونيسيا وسائر البلدان والأمم المطالبة بالحرية . ولعلها تقول إنها تنظر في الأهم ثم المهم ، وإنما لا تريد أن تخرج عن الأصل الذي وضعت له والذي يدل عليه اسمها وهو « جامعة الدول العربية » ، لا جامعة العرب ، ولا جامعة الإسلام ، ولا جامعة الشرق . وهذا حق ، ولكن ما الذي يحسبها على هذا وحده ؟ وما معنى أن تقصر أمرها على الدول العربية « المستقلة » في ظاهر الأمر ؟ إن هذه الدول العربية « المستقلة » ليست مستقلة في حقيقة الأمر ، وإلا فقيم ثورة مصر والسودان ؟ وفي ثورة العراق ؟ وفي غليان شرق الأردن ؟ فليس من الرأي أن تظل الجامعة العربية مقيدة بأشياء هي حبر على ورق ؟ بل ينبغي أن تضم إليها رجالاً من تونس والجزائر ومراكش ، وينبغي أن تضم إليها رجالاً من سائر الدول الإسلامية والشرقية ممن لهم مع العرب صلات لا يمكن أن تقطعها هذه القواطع الزبنة ، وينبغي أن تملن الجامعة العربية أنها قد أخذت على عاتقها أن تدافع عن حرية العرب وحرية المسلمين ، وينبغي أن تكون هي المؤتمر العام الذي ينضم إليه كل ناشد للحرية في هذه الأرض مهما اختلفت الأجناس والأديان . بل ينبغي أن تجمع الجامعة العربية في يدها أمر السياسة العربية والإسلامية بجملة واحدة ، وأن تضع المبادئ التي يجب على كل أمة تنضم إليها أن تعمل بها ، وأن تكون هي المبرة عن النداء العام الذي تنادي به هذه الأمم والشعوب وهو : الحرية . وينبغي أن تسير في ذلك كله مرة واحدة ، فلا تفرق قضية الحرية إلى قضايا كل واحدة منها تبالغ على أسلوب بخالف أخاه أو يتخاف عنه إن روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وسائر الدول المستعمرة ، أو أذبال الدول المستعمرة ، قد اتفقوا جميعاً على العرب والمسلمين وأهل الشرق ، فقيم نتأخر نحن أو نتحجم أو نتلجج ؟ ولم لا نمثل جميعاً بجملة واحدة ، وبدأ واحدة ، وفي وقت واحد ، وأى طائفة